

محاضرة في مقياس النقد المعاصر

النقد الثقافي

السنة الثانية - دراسات أدبية ونقدية -



الناقد الأمريكي " فنسان ليتش " (Vincent B. Leitch)
المولود سنة 1944 بنيويورك

مفهوم النقد الثقافي

النقد الثقافي مصطلح غامض وعائم وفضفاض ومتجدد، لأن الثقافة لها طابعها المعنوي والروحاني وتختلف مدلولاتها من البنيوية إلى الأنثروبولوجيا وما بعد البنيوية، وقد طرحه الناقد الأمريكي "فنسان ليتش" (Vincent Leitch) في أبحاثه ودراساته ليعوض مصطلح ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، ويعرفه جميل حمداوي بأنه ذلك النقد الذي يحلل النصوص والخطابات الأدبية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيدا عن المعايير الفنية والجمالية، ويعنى النقد الثقافي بالمؤلف والسياق والمقصدية والقارئ والناقد، فهو نقد فكري إيديولوجي عقائدي، ويهدف النقد الثقافي إلى كشف العيوب النسقية التي تغرسها الثقافة في سلوكنا بعيدا عن الفن والجمال، فالنقد الثقافي فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسسية والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة .

• ويضيف الناقد الأردني عبد القادر الرباعي أن النقد الثقافي توسع في مجالات الاهتمام والتحليل للأنساق، إذ لم يعد الأدب هو السائد بل جزءاً من كل أكبر وأوسع وهي الدراسات الثقافية (الميديا والسينما ومواقع التواصل الاجتماعي...) وهو يعتد على رأي تيري إيجلتون الذي أنكر وجود الأدب، فالأدب بصفته الجمالية كائن برجوازي لا معنى له خارج القرن 19م.

• أما عبد الله الغدامي فيرى أن النقد الثقافي فرع من فروع النقد النصوصي العام، معنىً بنقد الأنساق المضمرّة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي بكل تجلياته وصيغته، ما هو غير رسمي وغير مؤسّساتي ... من حيث دور كل منهما في حساب المستهلك الجمعي، فهو معنىً بكشف اللا جمالي .

• النقد الثقافي ليس منهجاً نمطياً بل هو نشاط معرفي يتناول مختلف الإنجازات الفكرية والمعرفية والخطابات الحاملة للأنساق تاريخية أو تداولية أو اجتماعية، بل حتى الخطابات المهملة كالميساجات والنكت والمرئية والمسموعة والصورية بغية الكشف عن المخفي والمتوارى.

مجال دراسة النقد الثقافي

يستهدف النقد الثقافي الخطاب الرسمي ليكشف لنا عيوبه النسقية من جهة، ومن جهة أخرى يركز على الأدب الهامشي كدراسات ما بعد الاستعمار (الاستشراق) عند الغرب، فالأدب العربي يعد هامشياً عندهم، كما يركز النقد الثقافي على الأدب النسوي الذي يعاني التهميش من طرف المؤسسة الأدبية باعتبارها مؤسسة ذكورية ...

جذور النقد الثقافي

- ظهرت الدراسات الثقافية منذ القرن 19م، ثم تطورت منذ تأسيس مركز بريمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة سنة 1964 في إنجلترا، و بروز مدرسة فرنكفورت الألمانية في الأبحاث الثقافية ذات الطابع النقدي والسوسيولوجي، لتنتشر بشكل موسع في تسعينات القرن الماضي بعد أن استفادت من البنيوية وما بعدها ومن التفكيكية والأنثروبولوجيا ونقد ما بعد الحداثة والحركة النسوية ونقد الجنوسة...، وتبلور مصطلح النقد الثقافي عند الناقد الأمريكي فنسان ليتش الذي أصدر كتابا سنة 1992 تحت عنوان "النقد الثقافي النظرية الأدبية - ما بعد البنيوية-".

مفاهيم النقد الثقافي

بين الغدامي جملة من المفاهيم نذكر منها :

1- للعنصر النسقي وظيفة نسقية تنتقل من الدلالة الحرفية والتضمينية إلى الدلالات النسقية المتوارية.

2- الدلالة النسقية مضمرة تتجاوز الحرفية والرمزية والضمنية.

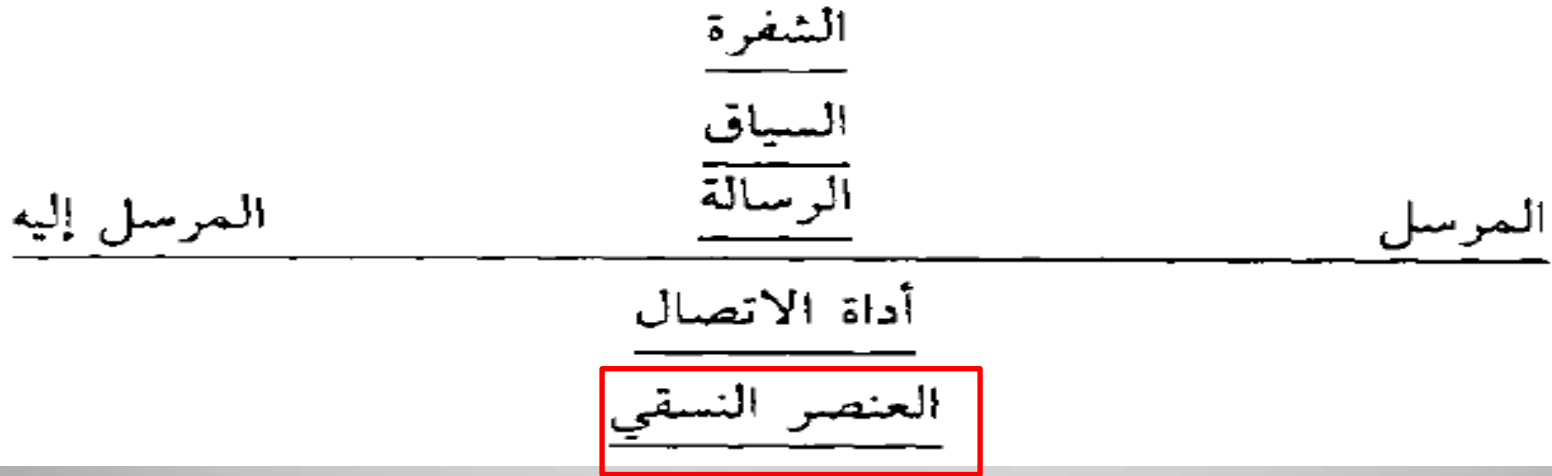
3- التورية الثقافية : دلالة اكتنازية وتعبير مكثف يتجاوز الجمل النحوية والغوية.

4- الجملة الثقافية: المتولدة عن الفعل النسقي في المضمرة الدلالية للوظيفة النسقية للغة، وهي تتجاوز الجملة النحوية والجملة الأدبية الجمالية.

5- المجاز الكلي: هو القناع الذي تتقنع به اللغة لتمرير أنساقها الثقافية.

6- المؤلف المزدوج: ونقصد به الثقافة التي تملي على المؤلف ما يكتب.

العنصر النسقي والوظيفة النسقية



اللغة عند الغدامي سبع وظائف :

- الوظيفة الانفعالية / ذاتية / وجدانية

- وظيفة معجمية / تفسيرية / ما وراء اللغة

- وظيفة مرجعية

- وظيفة شاعرية / جمالية

- وظيفة تنبيهية

- **وظيفة نسقية**

- وظيفة إفهامية / إخبارية / نفعية

مفهوم النسق وخصائصه

يكتسب النسق عند الغدامي قيما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة يحددها فيما يلي :

1- يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، وهذا يكون حينما يتعارض نسقان أحدهما ظاهر والآخر مضمّر في نص واحد، ويشترط أن يكون النص جماليا وجماهيريا . ونستبعد هنا النص الرديء والنخبوي، وتحديد هذه الشروط يتجه إلى كشف حيل الثقافة في تمرير أنساقها تحت أقنعة ووسائل خافية وأهمها الحيلة الجمالية .

للوّظيفّة النسقيّة شروط هي : وجود نسقين يحدثان معا أحدهما مضمّر والآخر ظاهر، ويكون المضمّر نقيضا ومضادا للعلنّي، فإن لم يكن هناك نسق مضمّر تحت العنّي لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي، ولا بد أن يكون النص جميلا ويستهلك بوصفه جميلا، ولا بد أن يكون النص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة.

• 2- النص يقرأ على أنه حالة وحادثة ثقافية لا على أنه نص أدبي جميل .

• 3- الدلالة المضمرة للنسق ليست من صنع المؤلف، لكنها منكبته ومنغرسه في الخطاب، تؤلفها الثقافة وتستهلكها جماهير اللغة من كتاب وقراء وإن اختلفت مستوياتهم .

• 4- النسق ذو طبيعة سردية ، يتحرك في حبكة متقنة، مضمر قادر على الاختفاء دائماً، يستخدم أقنعة مختلفة .

• 5- الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية راسخة ولها الغلبة دائماً، وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق.

• 6- عندما نشترط نسقين متعارضين في النص، لا نعني بالنص هنا معناه الأول، وإنما المقصود هو الخطاب ككل .

• ومن الأنساق نذكر : رجل / ليس رجل، امرأة حقيقية/ ليست امرأة، الذكر/ الأنثى، متعلم/ جاهل، اللغة الفصحى/ اللغة العامية، الشعر/ النثر، متمدن/ ريفي ...

الجهود العربية في النقد الثقافي

من أهم النقاد العرب الذين تبنا فكر النقد الثقافي وأدواته الناقد السعودي عبد الله الغدامي من خلال كتبه : «النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية، تأت القصيدة والقارئ المختلف، نقد ثقافي أم نقد أدبي ...»، وهو أول من تبنى مفهوم النقد الثقافي متأثراً بأفكار ليتش ومطورا لها، وقد كان له دور في تعرية الخطاب الثقافي العربي وكشف أنساق الثقافة المتوارية.

كما نجد مجموعة من الدراسات نذكر منها:

-المصري صلاح قنصوة وكتابه «تمارين في النقد الثقافي»، والذي درس فيه الجمل العربية والأمثال الشعبية الشائعة في ضوء المقاربة الثقافية ليؤكد التقارب بين الشعبي/ النخبوي

- العراقي محسن جاسم الموسوي وكتابه «النظرية والنقد الثقافي»، تحدث فيه عن أثر فعل الثقافة في المجتمع، وكتابه دعوة لنقد الذات وتصحيح الأخطاء، ولا يجب التركيز على الخطابات المنتقاة للكبار والمشهورين، والحذر من الخطابات التي تهتم بالهامشي والعامي والسوقي .

- السوري عبد النبي اصطيف في كتابه «نقد ثقافي أم نقد أدبي»،
والذي عارض الغدامي ومشروعه الداعي إلى موت النقد الأدبي
ليقوم على أنقاضه النقد الثقافي، فالخطاب الثقافي لا يتحقق
وجوده بانفصامه عن جماليات اللغة والمعنى، وإنما يكتسب
صفته الثقافية بفعل السياقات الجمالية والقيم الاجتماعية
المنصهرة فيه.

- العراقية بشرى موسى صالح وكتابها «بيوطيقا الثقافة نحو
نظرية شعرية في النقد الثقافي».

- الفلسطيني إدوارد سعيد وكتابها العالم والنص والناقد .
- عبد القادر الرباعي وكتابها «جماليات الخطاب في النقد
الثقافي».

- الجزائري حفناوي بعلي وكتابها «مدخل في نظرية النقد الثقافي
المقارن».

نقد النقد الثقافي

يعد النقد الثقافي ثورة منهجية جديدة، وقراءة واعية للموروث الثقافي والأدبي، رغم ذلك وجهت له الكثير من الاحترازاات لعل أهمها:

1- الحكم بشيخوخة البلاغة العربية وإعلان موت النقد الأدبي.

2- تسييس النقد الأدبي.

3- النقد الثقافي نقد ذاتي شخصي وليس نقدا علميا منهجيا.

4- تعميم الأحكام على الشعر العربي عامة، والتركيز على الشعر المؤسسة، وتغيب الكثير من النماذج الشعرية المتحولة كشعر الصعاليك والمتصوفة و شعر أبي نواس وبشار وابن الرومي ...، كما ركز النقد الثقافي على الأدب وهمش العلوم الأخرى كالفلسفة والعلوم الإسلامية والتاريخ والجغرافيا والعلوم البحتة، فهل كان ابن رشد والغزالي والرازي والطبري وغيرهم محكومين بالفحولة والذاتية والنفاق؟

نصوص شعرية للتطبيق

يقول عمرو بن كلثوم التغلبي :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا
لَنَا الدُّنْيَا وَمَا أَمْسَى عَلَيْهَا
بُعَاةَ ظَالِمِينَ وَمَا ظَلَمْنَا
كَأَنَّ سِيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
كَأَنَّ ثِيَابَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ
فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ
وَنَبْطِشُ حِينَ نَبْطِشُ قَادِرِينَ
وَلَكُنَّا سَنَبْدًا ظَالِمِينَ
مَخَارِيقُ بِأَيْدِي لَاعِبِينَ
خُضِبْنَ بِأَرْجْوَانٍ أَوْ طُلِينَا

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك، فأحضر بين يديه كيساً فيه خمسمائة دينار، وقال لهم: ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه، فأيكم غلب فله الكيس، فبادر الفرزدق فقال:

أنا القطران والشعراء جري ... وفي القطران للجري شفاء
فقال الأخطل:

فإن تك زقاً زاملةً فإني ... أنا الطاعون ليس له دواء
فقال جرير:

أنا الموت الذي أتى عليكم ... فليس لهاربٍ مني نجاء

فقال عبد الملك: خذ الكيس، فلعمري إن الموت أتى على كل شيء.

يقول المتنبى :

وَاحَرَ قَلْبَاهُ مِمَّنَّ قَلْبُهُ شَبِيهُ
مَالِي أَكْتَمْتُ حُبًّا قَدْ بَرَى جَسَدِي
قَدْ زُرْتُهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ
فَكَانَ أَحْسَنَ خَلْقِ اللَّهِ كُلِّهِمْ
يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي
سَيَعْلَمُ الْجَمْعُ مِمَّنْ ضَمَّ مَجْلِسُنَا
أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدْبِي
أَنَا مِلءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تَعْرِفُنِي
صَحِبْتُ فِي الْفَلَوَاتِ الْوَحْشَ مُنْفَرِدًا

وَمَنْ بِجِسْمِي وَحَالِي عِنْدَهُ سَقَمٌ
وَتَدَّعَى حُبَّ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْأُمَّمُ
وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ
وَكَانَ أَحْسَنَ مَا فِي الْأَحْسَنِ الشَّيْمُ
فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ
بَأَنْبِي خَيْرٌ مِنْ تَسْعَى بِهِ قَدَمُ
وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمُ
وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ
وَالسَّيْفُ وَالرُّمْحُ وَالْقِرْطَاسُ وَالْقَلَمُ
حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّي الْقَوْرُ وَالْأَكْمُ

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

جاذبتني ثوبي العصيِّ وَقَالَتْ أَنْتُمْ النَّاسُ أَيُّهَا الشُّعْرَاءُ
فَانْتَقُوا اللَّهَ فِي قُلُوبِ الْعَذَارَى فَالْعَذَارَى قُلُوبُهُنَّ هَوَاءُ
نَظْرَةٌ فَايْتِسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءُ
فَفِرَاقٌ يَكُونُ فِيهِ دَوَاءٌ أَوْ فِرَاقٌ يَكُونُ مِنْهُ الدَّاءُ

يقول أبو نجم العجلي أحد شعراء العصر الأموي:

إني وكل شاعر من البشر ... شيطانه أنثى وشيطاني ذكر
فما رأني شاعر إلا استتر ... فعل نجوم الليل عاين القمر

يقول نزار قباني:

إني خيرتك فاختاري

ما بين الموت على صدري..

أو فوق دفاتر أشعاري..

اختاري الحب.. أو اللاحب

فجبنٌ ألا تختاري..

لا توجد منطقةً وسطى

ما بين الجنة والنار..

إرمي أوراقك كاملةً..

وسأرضى عن أي قرار..

قولي. انفعلي. انفجري

لا تقفي مثل المسمار..

لا يمكن أن أبقى أبداً

كالقشة تحت الأمطار

يقول علي أحمد سعيد أدونيس:

اقتربي أيتها الرياح

اجتمعي إلي

أخلق بك

أخلق منك ...

ويقول أيضا :

صدري مع الشمس، فأَي الذرى مر بها صدري ولم تكبر؟

ما لي أنا؟ والفجر محفورة عيناها في حقلي وفي بيدي

وتخطر الشمس ولولا غدي لم تطلع الشمس ولم تخطر

مراجع المحاضرة

1- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي – قراءة في الأنساق الثقافية –

2- ميجان الرويلي و سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي.

3- حسين السماهيجي وآخرون، عبد الله الغدامي والممارسة الثقافية.

4- سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب.

5- عبد الرحمان عبد الله، النقد الثقافي في الخطاب النقدي العربي.

